

الواقعية

الواقعية النقدية

المفهوم والمصطلح:

إلى جانب إشكالية المصطلح نقف في دراستنا للواقعية على مشكلة الأنواع التي تتصل بها فقد احصى (ديمين كرانت) في كتابه عن الواقعية أكثر من ثلاثين نوعا للواقعية كالواقعية النقدية والواقعية المثالية والواقعية الساذجة والواقعية القومية والواقعية الطبيعية والواقعية الاشتراكية والواقعية النفسية والواقعية الرومانسية والواقعية الذاتية وغيرها.

وقد نسب إلى فلوبيير انه كان يمقت تسمية الواقعية فقد ورد في حديثه عن (مدام بوفاري) التي صدرت عام ١٨٥٧ ان الكلمة هي اهانة قذفت بوجه جميع اصحاب العقول لأنها غامضة ومطاطة ووصف دقيق للتفاهات ويرى (أدموند دوراتي) أن كلمة الواقعية هي نقيض لكلمة مدرسة لأنها تعني التعبير الصريح الكامل عن الصفات الفردية

أما (شانفيلوري) الذي ارتبطت نشاه الواقعية باسمه فيسخر من الواقعية باعتبارها وصفة في متناول كل من يريد أن يصبح واقعيًا.

والأصول اللغوية لكلمة الواقعية تفيد بانها تعني (شيء) وبالنسبة للاتينية تعني (الشيء المحسوس) والواقعية بوصفها تيارا أدبيا تعني المعالجة الموضوعية للواقع دون تدخل من الكاتب وقد اطلق الغربيون (الواقعية) على كل نتاج فكري يعتمد الحياة الانسانية والطبيعية وكل ما يدخل نطاق الادراك الحسي وذلك قبل ان يرتبط مفهومها بالأدب.

أما معناها الواسع العام فيعني كل ما يمتاز به الأدب من تصوير دقيق للإنسان والطبيعة مع العناية الكبيرة بالتفاصيل المشتركة للحياة اليومية وبهذا المعنى تصيح الواقعية صفة ادبية تطلق على مختلف العصور الادبية في الحكايات الشعبية القديمة ومهازل القرون الوسطى ومهازل مولير التي تتضمن من الواقعية أكثر مما تتضمنه مآسي (راسين).

ومنهم من يعتبر الأدب الفرنسي النهضوي قبل الكلاسيكية محطة أساسية للواقعية الأوروبية.

والحق ان الواقعية تعد ظاهرة تاريخية ظهرت في مرحلة معينة من تطور العقل البشري وقد شجعت الناس على التفكير في جوهر واتجاه حركة المجتمع بطريقة واعية وواقعية وبأسلوب يرفض الضرورة الحتمية للحركة الاجتماعية كما يلغي الطريقة العفوية لهذه الحركة لأنه يربط المشاعر الانسانية بأسبابها الواقعية ولا يخضعها للأهواء والرغبات الجامحة التي هي من سمات المثالية الرومانتيكية.

وعلى الرغم من ان الكتاب العرب يشكون من اضطراب مصطلح الواقعية في ادبنا العربي لما وجدوا في دلالاته ومفهومه من اضطراب فان النقاد الغربيين ليسوا اقل ضيقا من هذا الاضطراب (إذا لا يزال معناه الدقيق وتاريخه موضع نقاش لا نهاية له في طوفان من الكتابات التي يصعب علينا تصور مداها هنا في الغرب ومع هذا فان رينيه ويليك يعرف الواقعية بأنها (الامانة في تصوير الطبيعة) وكذلك التمثيل الموضوعي للواقع الاجتماعي المعاصر).

ويعرف (بوريس بورسوف) الواقعية بانها (دراسة فنية للمسيرة الروحية والتاريخية للبشرية هي بلاشك اكمل نظام دراسي فني وجد ويوجد حتى الان الفنان الواقعي يبحث عن وسائل من اجل تحسين الواقع في باطن الواقع نفسه).

أما جورج لوكاش وهو من النقاد المتعاطفين مع الواقعية فيرى انها النموذج الذي يربط بطريقة عضوية العام والخاص في كل من الشخصيات والمواقف كما يرى ان الواقعية الصادقة العظيمة هي التي تصف الانسان والمجتمع ككيانات كاملة بدلا من ان تعرض فقط مجرد مظهر او اخر من مظاهرها.

هذا وقد سبقت الفلسفة الادب في استخدام مصطلح الواقعية اذ ذكرها كل من كانت وشيلنج في معرض الحديث عن المثالية الواقعية ويبدو ان النقاد الالمان كانوا أسرع من طبق هذا المصطلح على الأدب و يتقدمهم في هذا كل من شيلر وشليجل عام ١٧٩٨ وما لبث بعد ذلك ان شاع بين الأدباء الرومانتيكيين الآخرين.

والحق ان من الصعب وضع تعريف محدد للواقعية يستطيع ان يجمع مبادئها وفلسفتها الفكرية ذلك ان الواقعية كما يقول أحد النقاد تعني أشياء مختلفة في سياقات

مختلفة وعلى الرغم من ان مصطلحها يستخدم من بعض النقاد لامتحاح عمل فان آخرين يستخدمونه لاستهجانه وان ما كان غداء عند (زولا) تحول إلى سم عند (برونيتير).

ويؤكد (روجيه جارودي) انه لا يوجد أبداً فن غير واقعي ويوضح هذه الواقعية بأنها لا تعني على الاطلاق نقل صورة الواقع بل محاكاة نشاطه والواقعية في الادب هي التي تقوم على ملاحظة الواقع وقد استخدمتها بهذا المعنى المجلة الباريسيه تميزا لها عن المصطلح الفلسفي فهي مذهب ادبي لا يؤدي الى تقليد الروائع الفنية بل الى تقليد ما تقدمها الطبيعة من روائع.

نشأة الواقعية وعواملها:

على الرغم من ان الواقعية النقدية هي وليدة القرن التاسع عشر إلا أن جذورها تمتد الى عصر النهضة ممثله في كتابات ومؤلفات هذا العصر من أمثال رابيلية وسرفانتس وشكسبير والتي تمثلت في تحليلها لخصائص العصر وملامحه والعلاقات البشرية وصور الحياة اليومية كما هو الحال في كتابات سرفانتس على الخصوص.

أما روايات شكسبير فقد قام معظمها على تحليل المضمون الواقعي الحقيقي للتفاعلات الاجتماعية والحالات النفسية للأشخاص الذين عاشوا في زمانه وفي القرن الثامن عشر ايضا اخذ الفن الواقعي يتطور بقدرة مدهشة متنقلا من تصور الحياة اليومية الى تصور الكائن الاجتماعي.

على ان الواقعية مذهباً ادبياً لم تثبت شخصيتها الأدبية إلا من خلال مجموعة من كبار الكتاب والنقاد الفرنسيين الذين يتصدرهم ستندال وبلزك وفلوبير والكسندر دوماس الابن وموباسان من الأدباء وسانت بيف وتين وكونت من النقاد فقد كانت قبل هؤلاء مدلولاً عاماً يعني تمثيل الطبيعة العلاقات العضوية الاجتماعية ونوازع البشرية وحالاتها النفسية المختلفة منذ ان اصدر بلزك عمله الكبير (الكوميديا البشرية) التي صارت مقدمتها اعلاناً عن هذا المذهب كما كانت مقدمه (مسرحية كرومويل) لهجوا اعلاناً عن الرومانتيكية والتي يتعرض فيها لأثر عنصر البيئة او الوسط في الأدب وفيها أيضاً اطلق على تاكري (زعيم المدرسة الواقعية).

ومنذ انئذ شاع المذهب الواقعي وأخذت رياحه في فرنسا تحمل معها بذور الواقعية التي وجدت لها تربة خصبة في العالم الغربي كانكلترا و المانيا والولايات المتحدة وروسيا وفي انكلترا نفسها كانت مجموعة من الكتاب الشباب تخالف ديكنز في اتجاهها الرومانتيكي في عنايتها بوصف الاحداث وتمثيل البيئات التي تنعكس فيها الخصائص الشخصية مع ان بعض الكتاب يرى ان قيام الواقعية قد بدا في انكلترا ممثلا في روايات سكوت التي صورت حياة المجتمع الانكليزي وعاداته وتقاليده كما يرى إنتاج ديكنز بتمثل في هذا الاتجاه.

وفي الولايات المتحدة الامريكية دعى هنري جيمس عام ١٨٦٢ الى تبني الواقعية على غرار ما يحدث في فرنسا.

ويبدو ان الكتاب والنقاد الالمان كانوا غير متحمسين لهذا التيار كالفرنسيين و الامريكيين على الرغم من أن كلمة (الواقعية) قد استخدمت لديهم عام ١٨٥٠ حينما اشار احد النقاد إلى واقعية (غوته) وقد أشار (فشر) إلى واقعية شكسبير بحماس شديد ثم وردت متأخرة عام ١٨٨٦ في كتابات انجلز حيث ذكر مصطلح (الواقعية).

وفي ايطاليا ورد مصطلح (الواقعية) في كتابات احد النقاد عام ١٨٧٨ وذلك في معرض كلامه على (زولا) وتبنى (بيلنسكي) في روسيا عام ١٨٣٦ اصطلاح (ف.شليجل) عن (الشعر الحقيقي) وفي حديثه عن شكسبير ربط الشعر بالحياة الواقعية وفي عام ١٨٤٦ تحدث بيلنسكي نفسه عن بعض الكتاب الروس بوصفهم ينتمون الى المدرسة الطبيعية واستشهد (بكوكول).

أما (بيساريف) فيعد أكثر الكتاب الروس استخدموا للفظ الواقعية التي تعني عنده (التحليل أو النقد).

وقد ذكر (دستويفسكي) مصطلح الواقعية في عام ١٨٦٣ في معرض مناقشته لبعض النقاد الروس ويتفق موقف تولستوي مع موقف دستويفسكي في تعرضه للواقعية وبعد الاثنان من أبرز طلائعها واقطابها اللذين مثلوا جانبها النقدي قبل شيوع (الواقعية الاشتراكية).

وربما كان نزوع الأدب الى الدقة والحقيقة على وفق ما نادى به (تين) و(رينان) سبباً من أسباب الدعوة إلى الواقعية.

ومن هذا القبيل أيضاً دعوة (المدام دستال) في نقدها في بداية القرن التاسع عشر إلى ربط الأدب بالمؤثرات الاجتماعية وقد كان (تين) الناقد الفرنسي الأشهر يعتمد في نظريته النقدية المعروفة على ممارسة الكتاب الواقعيين في عصره وكان يشارك الرواد الواقعيين أمثال سنتدال وبلزك وزولا وموباسان وفلوبير .

ومن الأسباب التي مهدت للواقعية دعوة النقاد إلى إدخال المحسوس في الفن وكذلك التقدم العلمي والفلسفي وخاصة علوم الحياة والوراثة والذي أدى إلى تغيير الكثير من المفاهيم الاجتماعية والفكرية والفنية.

أما أهم الفلسفات التي تأثر بها المذهب الواقعي فهي الاجتماعية والوضعية والتجريبية والمادية وقد كان لإسراف الرومانتيكيين في أحلامهم وعواطفهم وتهويماتهم قد أدى إلى انكماش الناس من دعوتهم والسعي بدلاً منه إلى معايشة الحقيقة والواقع وقبل أن تصل الرومانتيكية ذاتها وإذا كانت فرنسا تعد الرائدة الأولى في الدعوة إلى إحلال المذهب الواقعي في الأدب فإن سبب هذه الريادة يعود إلى أنها قد تصدرت الإبداع في الفن القصصي أكثر من غيرها وقد تبعها في ذلك كل من روسيا وأمريكا على الخصوص.

تلك كانت العوامل والأسباب التي دفعت بالأدب الغربي وفي مجال الرواية خصوصاً إلى تبني الاتجاه الواقعي في الأدب وهو الاتجاه الذي بدأ يشق طريقه إلى كل أقطار العالم مؤكداً على النزوع إلى الواقع.

الخصائص:

على الرغم من أن الواقعية في الأدب تتفق في رسم صورة للإنسان في شموله وللمجتمع في عمومته دون أن تنحصر في المظاهر الجزئية فأنها قد اتجهت اتجاهات مختلفة فهناك الواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية والواقعية الطبيعية والواقعية الجديدة وغيرها من الأنواع الكثيرة التي سبقت الإشارة إليها في مقدمة البحث وهذا الاختلاف كما يراه الكتاب والنقاد يعود إلى نظره كل منها إلى الواقع وتفسيره على وفق منظوره الفلسفي والفكري الخاص به.

فالواقعية النقدية ترى الحياة في أصلها شراً في حين تنظر إليها الواقعية الاشتراكية نظرة تفاؤل.

اما الطبيعية فقد استعانت بالتجارب والأبحاث العضوية والفسولوجية لمعرفة الحقائق العميقة للإنسان وللحياة وقد انعكست هذه الاختلافات على الخصائص الفنية والمضمونة لكل اتجاه حتى وجدنا الكثير من هذه الخصائص يختلف بين اتجاه واتجاه مما يجعلنا ندرسها كلا على حده.

- اهم ما يميز الواقعية النقدية من غيرها من المذاهب هو نظرتها الشمولية للإنسان وللحياة اذا يرتبط كل منهما بوحدة عضوية تتضح في نظرتها الكلية التي ترفض ان تنحصر في المظاهر الجزئية في المجتمع ولذلك ابتعدت عن المغالاة في تصوير الحالات النفسية الخاصة التي تضر بالطابع الشامل للأشخاص فالواقعية من وجهة نظر جمالية لا تتصور الانسان فردا قائما بذاته و انما تنظر اليه كائنا متفاعلا مع المجتمع ولذلك عارضت ما يسمى (بالفردية) التي غالت الرومانتيكية في النظر إليها.

- إن القوى الاجتماعية في الواقعية هي التي تؤثر في مظاهر الحياة اليومية وتحدد علاقات الفرد بالمجموع من مثل العمل والحب والزواج والصدقة وغيرها وهذه القوى تنتج نماذج بشرية تتوقف عليها الحياة الواقعية للمجتمع. والواقع ان عظمة كبار الكتاب الواقعيين تتوقف على مدى تصورهم وعرضهم لهذه النماذج البشرية في جميع قطاعات الحياة.

تعارض الواقعية تمجيد الذات وتحد من الاعتماد الشديد على الخيال والوهم وتستبعد الابهام في الرمز وتقتصر دور الاسطورة على مجال محدد وتعارض التصوير الرومانتيكي للطبيعة الذي يصل حد المناجاة من اجل استيحاء مكونات النفس لان ذلك يتعارض مع الشمولية التي يرتبط فيها الانسان بالمجتمع كما ترى ذلك النظرة الواقعية.

- من اهم ما حققته الواقعية هو الوعي التاريخي بالتطور الحديث ونظرتها الجديدة للعالم ورؤيتها العميقة للإنسان ككائن يتمتع بالحركة بوحى من هذا الوعي وفي هذا يتجلى نقد الواقعيين للتشاؤم الرومانتيكي يؤكد الواقعيون على ما يسمى (بالموضوعية) في الأدب فهم يرون ان الادب والرواية منه على الخصوص يجب ان يأخذ تفاصيله من الحقائق المعاصرة لا من التاريخ ولا من الخيال اللذين هما اطار

للعمل الأدبي وقد كان بلزك وفلوبير من أوائل دعاة الموضوعية في الأدب يقول فلوبيير (أن عدم التحيز في الوصف لا بد ان يصل الى مرتبه القانون الجليل) وعند فلوبيير أيضاً يجب أن يكون وصف الروائي دقيقاً وحقيقاً وينبغي له ان يكون عادلاً وقد تطرقت الكثير من الدراسات الى الموضوعية وخاصة الالمان من ذلك حديث (شوينهور) عن شكسبير وجوته وهيجل وغيرهم واستخدم (كولردج) كثيراً مصطلح (الموضوع الشخصي) وميز (هازلت) من بين الشعراء الموضوعيين وكان الفرنسيون اقدر من غيرهم من الكتاب الذين تحدثوا عن الموضوعية في الادب الواقعي ويرى (هنري جيمس) ان الدعوة الى الموضوعية واستبعاد اي تدخل من جانب المؤلف هي الحد الفاصل بين القضية القديمة والحديثة.

ارتبطت النظرة الجمالية عند الواقعيين بالمجتمع فنضج العمل الفني عندهم يقوم على مقدار ما يعرضه الكاتب من عوامل جوهرية في المجتمع وهو ما يجعله يعتمد على تجربة مكثفة في التطور الاجتماعي ولذلك اوجبوا على الكاتب ان يكشف بصدق بالغ وحس صادق ونظرة شمولية دقيقة كل ما يراه في المجتمع بغض النظر عما يؤدي ذلك من حرج ومسؤولية ولذلك اكد الواقعيون النقاد على ما أسموه (بالصدق الشخصي) للكاتب وقد حكموا على نجاح انتاجهم بمقدار ما يعبر عن صورة التناقضات في المجتمع وعن عرضه لعناصرها الجوهرية بروح من الشجاعة والمهارة التي تغني عمله الابداعي بعنصر الصدق الفني والشعوري.

ومن اهم نتائج الدعوة إلى (الموضوعية) في المنهج الواقعي رفض الاتجاه النفسي الذي يدعو الى النفاذ الى اعماق الكاتب الداخلية لتفسير عمله وتصور العمل الفني على انه نتاج أسرار الشخصية المبدعة.

اما الاثر الفني للكاتب الواقعي فيظهر عندهم من خلال علاقته بالواقع الذي يعرضه ومن خلال نفاذه الدقيق لخصائص الواقع وهذه الموضوعية التي تمسك بها الكتاب الواقعيون قد جعلت خصومهم من النقاد يتهمونهم بالفقر الجمالي.

- يؤكد الواقعيون في عملهم الفني على ضرورة توفر الملاحظة الدقيقة العميقة الواسعة فالملاحظة ضرورية في التجربة الفنية ولكن توفير ما هو جميل محبب فيها

يخلق الاستمتاع بالعمل الفني وهذا ما يؤكد أن (الموضوعية) لا تلغي صفة (الجمالية) الفنية كما أن العناية بالمضمون كما يقولون لا يلغي الاهتمام بالشكل.

لقد أكد الواقعيون ان جوهر الادب الواقعي يتشكل من التحليل الاجتماعي ودراسة التجربة الاجتماعية للإنسان وتصويرها بأمانة ودقة وكذلك يتشكل هذا الجوهر من العلاقات الاجتماعية بين الفرد والمجتمع وبشكل لا يقبل التجزئة.

-ان تعامل الادب الواقعي مع المجتمع لا يقوم على تصوير هذا الواقع تصويرا سطحيا بل يقوم على النفاذ الى روحة بوصفة كيانا متكاملًا ووظيفة الادب الواقعي هنا لا تعزل الانسان عن الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه بل هو يؤكد على جدلية العلاقات الاجتماعية الفاعلة والمتبادلة والتعبير عن كل ما يبدو فيها من تناقضات والتحليل الاجتماعي الذي هو جوهر الواقعية يتيح للكاتب الواقعي ابراز الملامح المميزة للحياة والاقتراب من فهم القوانين التي تحكمها وكلما كان تحليله اوضح للأحداث كان ادبه اقرب من المجتمع واشد عمقا وبذلك يبتعد الكاتب عن الانفعالية ويقترّب من ادراكه الصحيح الموضوعي لوظيفته الفنية.

ومن هنا توجب على الادب الواقعي ان يكون دقيقًا وعميقًا في عرض المشاكل الاجتماعية ولكي يكون التحليل الاجتماعي عميقًا وصادقًا على الكاتب ان يرى الواقع في تجلياته الاساسية ومسائله الجوهرية ولا يقترب من القضايا التافهة التي ليست من صميم جوهر المشاكل الاجتماعية.

- يرى الواقعيون ان العمل ان العمل الفني بتسجيله صور العالم انما يعكس بصورة عضوية خصائص وعي الفنان الذي لا يكون ابدا مؤرخا وحسب بل يكون مصورا لحركة التاريخ التي يتفاعل فيها هذا الفنان مع مجتمعه وهذا الموقف يجعله مدافعا عن مجتمعه وعصره.

- ان الواقعية النقدية اتاحت لكاتبها ان يبرزوا ويحللوا تناقضات العلاقات الرأسمالية الجديدة التي قامت على أنقاض الاقطاعية ولذلك كانت تحليلاتها للواقع في حركته الحقيقية تشكل واحدا من الاهداف الكبيرة التي دعت اليها وظيفتها الإنسانية وذلك بوصفها أدب المجتمع كله.

-ومن هنا صار الواقعيون النقادون وحدهم هم القادرين على رؤية واستيعاب جميع الظواهر المتناقضة للتطور الاجتماعي.

تميزت الواقعية النقدية في القرن التاسع عشر بالبحث في تناقضات الحياة الاجتماعية وتصويرها وبالرغبة في المعرفة التي اتصفت بها كبار كتابها أمثال بلزاك وفلوبير.

لقد كان بلزاك بالذات يدرس الطبائع الفردية ناظرا الى الحياة بنفاذ مدهش معبرا عن دقائقها في مؤلفاته مطالعا على المضاربة العقارية وعلى الوسائل التي يتبعها الفلاحون في انتزاع حقوقهم وعارفا بأسرار القصور الارستقراطية عالما بدسائس السياسيين الخفية وبتوغل الجشع في كافة دوائر الحياة الخاصة والعامه.

- اتجهت الواقعية النقدية نحو تحليل العالم الداخلي للإنسان يظهر ذلك في الفن القصصي الذي ربط علاقات هذا الانسان بالبيئة وقد كانت رواية (مدام بوفاري) لفلوبير دراسة نفسية موسعة فضلا عن انها دراسة تحليلية للمجتمع ولوحة لأخلاق العصر ولقد ابرار الكاتب في هذه الرواية الطابع المأسوي للحياة اليومية في العالم البورجوازي.

- رفض الواقعيون النقادون ان تكون الرواية متضمنة اخلاقية واضحة وان تمجد قضية سياسية او اجتماعية او دينية وذلك خشية ان تنحط قيمتها الفنية فالرواية بوصفها نوعا ادبيا تخص الفن فوجب ان تكون صفة التعبير هي الهم الاول للروائي فالروائي بالنسبة لفلوبير فنان قبل كل شى غايته انتاج عمل فني كامل ولكن الكاتب لن يبلغ هذا الكمال الا اذا ابعده أفكاره الخاصة وعليه ايضا ان يبعد انفعالات قلبه وتأثيراته الشخصية كما يجب ان يتجرد عن الحياة التي يضعها اما الذين يعرضون انفعالاتهم في اعمالهم الادبية فهم غير جديرين بلقب الفنانين الحقيقيين وهم محتقرون في نظر فلوبير.

والرواية التي يفهمها هذا الكاتب ليست الرواية الفنية وحسب بل هي كذلك الرواية الواقعية.

- والأدب الواقعي يصور جوهر الاشياء ويهمل المبتذل الذي لا يحدث إلا مصادفة محققا في ذلك معادلة ناجحة بين الإنسان والمجتمع.

ان الواقعيين رغم انطلاقهم من صدقهم ونزاهتهم ورغبتهم في اصلاح المجتمع وتصحيحه استطاعوا الكشف بعمق عن جذور العلاقات الرأسمالية وفضحوا عيوبها الأساسية وأوضحوا ان العلاقات البرجوازية لا بد ان ينتج عنها هذه العيوب.

- والكاتب في الواقعية النقدية لا يتحدث عن نفسه بل يجب ان ينساها ويمحوها وان يبقى جامدا غير متأثر ازاء الحقيقة التي يترجمها انه يعني بالبيئة التي تجري فيها الاحداث وينظر الى الناس كما يبدون في حياتهم اليومية الطبيعية ملاحظا حركاتهم وسكناتهم ومن الوجهة العلمية يعد الفنان الواقعي صحيحا لأنه يتحرى ويدقق ويلاحظ قبل ان يعرض صورة على الناس.

- ان الغاية من الفن عند الواقعيين النقاد هو الفن فالأديب لا يخضع اثاره لغاية خارجة عن الفن نفسه انه يدع الأشياء تتحدث عن نفسها انه يضع اثرا فنيا فقط وقد يؤدي هذا الاثر بعد ذلك خدمة للسياسة والاجتماع أو لا يؤدي.

- ان الجنس الاثير لدى الواقعيين هو النثر والرواية منه على الخصوص فالواقعية لم تنشأ شعرا ولم تنظم قصائد تشكل بها ظاهرة في المذهب وإنما كتبت قصصا أو مسرحيات نثرية.

والسبب في هذا فيما يبدو هو ان الشعر يقتضي بالضرورة حالات انفعالية ومواقف عاطفية هي ابعد ما تكون عن طبيعة الاتجاه الواقعي في الادب على عكس ما يقتضيه الادب الواقعي من تحليل والاستنتاج في الفن القصصي.

- والواقعية تقوم على فلسفة خاصة في فهم الحياة والمجتمع فالحياة في نظرها شر لا بد من الحذر منه وهي مبدأ بعيد عن التفاؤل والمثالية ومن هنا لم يكن هدف الواقعية النقدية تصورا لواقع الحياة ولا تسجيلا لمفرداتها كما انها لا تهدف الى معالجة المشاكل الاجتماعية حسب وليست ضد ادب الخيال ولا تخلو من التوجه الى العواطف بل هي تستخدم الخيال والعاطفة بالقدر الذي يخدم الواقع وتصويره وتعميقه.

وقد اتخذت الواقعية النقدية من الواقع الموضوعي مصدرا لموضوعاتها بدلا من سباحات الأحلام واستبدلت دقة التعبير وإتقان التصوير بالغموض والتهويل والإيهام وأثرت الصدق على التمويه والتضليل واستمسكت بالصرامة العلمية في الكشف عن

الحقيقة دون الميل مع الهوى واهتمت بالمجتمع أكثر من اهتمامها بالفرد وعنيت
بالمشكلات الاجتماعية أكثر مما عنيت بالعواطف الذاتية.

وعلى الرغم من ان الواقعية النقدية تستلهم مادتها من الطبقات الاجتماعية
فأنها لا تهمل استلهاام القضايا ذات الطابع الميتافيزيقي او التاريخي وعلى الرغم من
انها تؤكد على الجانب الموضوعي في الأدب إلا أنها لا تهمل اهمالا تاما الابداع من
خلال الادب الذاتي وعلى الرغم من انها تكشف عن جوهر الواقع من خلال منظور
تشاؤمي ألا أنها لا تدعو مباشرة إلا تغييره فهذه الوظيفة في نظرها منوطة بالثورة أو
بالاصلاح الاجتماعي.

كما انها لا تقتصر في تعبيرها عن نقد الواقع على طبقة بعينها بل هي تعبر
عن الواقع بكل فئاته وبيئاته.

وتتصدر روايات بلزك (الكوميديا البشرية) هذا الاتجاه وفي معالجتهم
للموضوعات التاريخية في قصصهم ومسرحياتهم قام أصحاب هذا المذهب بأحياء دقيق
للعصر بعاداته وميوله و اخلاق اهله ولكنهم حققوا الصلة بين تلك الاحداث وبين
عصرهم وشخصيات الواقعيين الادبية تؤخذ عادة من الطبقة الوسطى في افاتها
الاجتماعية او من العمال الذين يعانون من الظلم والطبقة الوسطى هي محور
قصصهم لأنها كانت متنفذة على عهد الرومانتيكين.

اما العمال فقد حظوا بعناية الواقعيين لأول مرة في تاريخ الأدب ويتخذ
الواقعيون مادة تجاربهم من واقع الطبقات الدنيا في صراعها مع الطبقات الاكثر نفوذا
وبذلك كانت تجاربهم مليئة بالصرع الذي يسوده تشاؤم واضح.

وكثيرا ما صوروا مآسي شعوبهم للتنبية إلى خطرها ولتعرية اخلاق العصر
ولتصوير الصراع بين الطبقات في المجتمع البورجوازي.

ان سبب تنوع الموضوعات عند الواقعيين هو دعوة الكتاب النزول الى الحياة
العامة وتصويرها دون انتقاء مادة هذه الصور وبذلك اصبحت هذه الموضوعات
البشرية كلها موضوعات للأدب وأصبح البطل هو الانسان بغض النظر عن انتمائه
لطبقة معينة.

تطلب الواقعية من الكتاب ان يكونوا على معرفة وافية بالحياة وقوانينها واتجاهاتها فلم تعد الموهبة وحدها كافية لعملية الخلق والإبداع ولذلك طالب هذا المذهب اصحابه بالتسلح بأنواع الثقافة والعلوم حتى صار الاديب لديهم عالما وطيبا واقتصاديا ومهندسا وقائدا عسكريا إذا لزم الأمر.

وفي الرواية الواقعية لا يسمح بظهور المؤلف على المسرح فلا يتدخل ولا يلقي بظلال نفسه على عمله بل يتخلى عن أفكاره ومشاعره وانفعالاته الشخصية.

ان الرواية في نظر الواقعيين ليست عملا ادبيا يوفر فيه الكاتب خصائصه الفنية المطلوبة انه فوق ذلك وثيقة يضع فيها الكاتب صورة للعصر بكل ما فيه من عظمة وتفاهة.

ولكي يكون الروائي شاهدا لعصره ينبغي قبل كل شي ان يدرس مظهر الاشخاص ويسألهم ويفحص اجوبتهم ويدرس مساكنهم ويستجوب الجيران ثم يدون حججه واضعا حدا للتدخل الى اقصى درجة ممكنة ان الملاحظة الدقيقة هي عمل الروائيين الاساس ان الواقعية تهدف الى ان تصبح التعبير عن التفاهة اليومية هكذا عبر (شانفيلوري) عن رأيه في كاتب الرواية الواقعي وقد اتخذ من بلزاك نموذجا تتحقق لديه هذه الصفات للروائي.

ومادة الروائي لدى الكاتب الواقعي كما يرى شانفيلوري هي إنسان اليوم في المدينة الحديثة ولكي يكون الروائي حقيقا عليه أحيانا ألا يكتب شيئا من عندياته وان يكون شجاعا دائما.

من الاوليات المهمة لدى الواقعيين عموما ابراز ما يسمى (البطل النموذجي) الذي يجب ان يمثل لديهم وسطه وواقعة على الرغم من انه لا يشترط ان يمثل الصواب دائما ويقاس عمق البطل الواقعي النموذجي بمدى ارتباطه بالحياة ومدى تجسيمه المصير الاجتماعي من ناحية أخرى.

وقد اشترطوا في تكوين الموقف النموذجي للبطل ان تكون الصدفة فيه ضرورية وان يكون له (طابع استثنائي) ولا تصبح شخصية البطل نموذجية، إلا إذا قورنت بشخصيات أخرى، وقد ركزت الواقعية النقدية فيث روسيا على ما يسمى (بالبطل الإيجابي).

وقد استطاع دستويفسكي أن يتحرى نفسيات أبطاله ويصور وعيهم الباطني المتفسخ وان يكشف تحول السلوك البشري إلى نقيضه.

أما تولستوي فقد اختار أبطاله من الطبقة النبيلة ولكن هؤلاء الأبطال يتناقصون دائما مع طبقتهم وللبطل لديه مصلح اجتماعي يفهم نفوس البشر ويحلل طبائعهم من خلال فهم نفسه و أبطاله يكثر من البحث و المراقبة و الفعالية والنشاط و اهم أبطاله ما جاؤا في روايتي (الحرب والسلام) و (انا كارنينا).

ويحس البطل في الواقعية النقدية بثقل أوضاع قوانين مجتمعة التي تجرد الإنسان من إنسانيته وتبدو شخصية البطل أحيانا عندهم مسطحة لا فرق بينها وبين الآخرين فهي تتحطم على صخرة قوانين مجتمعة التي تجرد الإنسان من إنسانيته وتبدو شخصيه البطل أحيانا عندهم مسطحة لا فرق بينها وبين الآخرين فهي تتحطم على صخرة قوانين المجتمع وتنتهي في مثل هذه الحالة بالموت.

إن إبداع صورة البطل الجديد (النموذجي) في الروايات الواقعية قد سجل انتصارا كبيرا لهذا المذهب إن مصير البطل لدى الواقعين يرتبط ارتباطا حميما بالتطور الاجتماعي الذي يتحرك فيه هذا البطل ولذلك لا بد لمعرفة البطل من دراسة الوسط الاجتماعي وتأثيره في مسيرة البطل ولقد كان (ستندال) يفهم فهما جيدا تأثير البيئة في أبطاله ولذلك ارتبطت مصائر لأبطاله وكان يبرز في الشخصية التي يصورها السمات النموذجية للبيئة والمجتمع والطبقة التي ينتمي إليها أبطاله وبواسطة هؤلاء الأبطال يدرس النظام الاجتماعي البرجوازي وتأثيره الضار في الضمير الإنساني.

وقد حقق ديكنز نقده للمجتمع البرجوازي من خلال أبطاله المتحررين من الشعب ورسم صورة للجشع والبؤس والألم وضياع الحقوق واستغلال الشعب بواسطة أبطاله.

ولفن الواقعي طقوس في الشكل فاللغة يجب أن تكون مصقولة لتعبير بدقة عن الواقع والعبارة ينبغي أن تكون مهذبة كما ينبغي أن يكون الأسلوب متينا والكلام جامعا بين الدقة والوضوح بعيدا عن الخطابة واللهجة المنفعلة.

وجمال الفكرة عند الواقعيين لا ينفصل عن جمال الشكل.

ويرى فان تيغم، أن الاهتمام بالشكل لدى الناثر أصعب منه عند الشاعر لان الشاعر تسنده قواعد معينة ومجموعه من التوجيهات وفي النثر أيضاً يلزم إحساس عميق بالإيقاع بدون قواعد ويلزم حس فني أكثر دقة وأكثر رهافة.

وهناك صعوبة أخرى أكثر أهمية وهي التنظيم أن مراعاة النسبة في الأقسام وإضاءتها وتناغمها والانتقال من قسم إلى آخر كل ذلك يخلق صعوبة كبيرة للروائي.

تستعين الواقعية في تجسيد أفكار الرواية بالصورة الواقعية تقدم صورة موضوعية مطابقة للواقع ولقد كانت صور تولستوي مشحونة بالامتلاء والغنى الملحمي أما صور ستندال فكانت رصينة وعقلانية ومتقنة وكذلك جاءت صور دستوفسكي و تشيخوف وغيرها مليئة بالحيوية والحركة.

وعند الواقعيين يجب أن يتحول المحتوى الكامل للعمل الفني إلى شكل حتى يكون للمضمون الحقيقي فعاليته الفنية فالشكل ليس سوى حالات تجريد واعلى نماذج التركيز للمضمون وعلى الرغم من تصريحات كبار الواقعيين عن اهتمامهم بشكل العمل الفني إلا أن البعض قد اخذ عليهم إهمالهم للجانب الشكلي للصياغة الفنية وكان (لوكاش) واحدا من الذين تركوا هذا الانطباع عند الواقعية في بعض تحليلاته بعض النماذج الواقعية.